على الجبل بالتحالف مع الجيش الفرنسي الذي اتى غازيا (١٨٦٠) تصبح الطائفة هي التي تحكم هذه المستويات بوصفها قاعدة القرابة القائمة على التوزيع والتجارة · وتصبح العائلة قاعدة الطائفة بوصفها شكلا اجتماعيا يلائم الملكية الفردية الجديدة · اما العشيرة شكل التحالف العصبي القديم فتبدأ عملية انهيارها · ان هذا الانقلاب في اولوية المستوى الذي يحكم المستويات الاخرى (اي الطائفة بدل العشيرة) هو في الواقع التعبير العيني عن انتقال شكل الملكية في الجبل » ·

ولما كانت العلاقات الرأسمالية ، قابلة الطائفية ، قد ظهرت مع مشروع التجزئة الذي طال المنطقة ، فان النظرة التي تلغي الطائفية على ارضية الكيان ونموه الطائفي ، والنظرة التي تميل الى تأييد الطائفية وكيانها ، تلتقيان في جذرهما القطري ·

ان « الطائفية » في لبنان هي وليدة تحطم الانتاج المحلي وقيام التبعية الاقتصادية والاتجاه نحو سوق عالمية موحدة ، محكومة بتقسيم العمل بين المركز والاطراف ·· واستطرادا فانشاء الطوائف لـ « دولتها » ومن ثم نيلها لـ « استقلالها » هما ، تعريفا ، خطوتان في سياق تعزيز التبعية ·

التحدي السياسي

بهذا المعنى جاء « لبنان الكبير » مع الانتصار الذي تحقق لامبرياليات اوروبا في نهاية الحرب العالمية الاولى ، وجاء « الاستقلال » من ضمن موجة الاستعمار الجديد الذي تصاحب مع صعود الولايات المتحدة الاميركية في نهاية الحرب الثانية ·

كل نمو اذن شهده الاقتصاد اللبناني لم يكن نموا لـ « قوى انتاج » مزعومة ما ، بل نموا لتبعية لبنان التي وجهها الآخر زيادة التفاوت بين لبنان والعرب ، وتأصل الانعزالية الذي يحمل في الآن نفسه ميلها الانتحاري الى الذوبان في اسرائيل ·

ولو اخذنا « الهجرة » كظاهرة لبنانية ، مثلا ، وجدنا ان افراغ الريف واستبعاد قوى الانتاج تصاحب على الدوام مع نمو الرأسمالية اللبنانية ، بل ساهما مساهمة اساسية في هذا النمو ·

والهجرة هي بهذا المعنى امتداد لانتصار الرأسمالية على الانتاج المحلي على مستوى قومي ، اذ ولدت مع اواخر القرن الماضي وهيمنة الرأسمالية ، واتسعت لتشمل الجنوب بعد قيام دولة اسرائيل (كتعبير اشد تكثيفا عن ذلك الانتصار)